Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Araştırmaları Merkezi

أبو حامد الغزّالي

جواهر القرآن ودرره

تحقيق
لجنة إحياء التراث العربي
في دار الآفاق الجديدة

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

٧ ـ ٢٧ ترجمة المؤلف عادل نويهض

٢٩ ـ ٣٥ فلسفة الغزالي د . جميل صليبا

٣٧ ـ ٤٨ الغزالي مؤسس علم النفس الاسلامي
د . أحمد فؤاد الاهواني

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Araştırmaları Merkezi
Kütüphanesi
Demirbaş No: 29709
Tasnif No: 297.212
GAZ.C

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الآفاق الجديدة

الطبعة الخامسة
١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م
الطبعة السادسة
١٤١١ هـ - ١٩٩٠م

ترجمة المؤلف

بقلم : عادل نويهض

١ – عصره

كان المعتصم بالله العباسي (٢١٨ – ٢٢٧هـ) ، وهو من أعاظم خلفاء بني العباس ، قد كوّن لنفسه جيشا من الأتراك ، وابتنى مدينة سامراء (سنة ٢٢٢هـ) حين ضاقت بغداد بجنده ، واتخذها عاصمة جديدة له . ولما مات ، وولي الخلافة ابنه الواثق بالله (٢٠٠ – ٢٣٢هـ) حذا حذو أبيه ، فقرّب الأتراك ، وأسند الى قادتهم أرفع المناصب . ومات ، فتدخل الأتراك في البيعة لأخيه جعفر، المتوكل على الله (٢٠٦ – ٢٤٧هـ) وسعوا الى السيطرة على الدولة ، فلما فشلوا ، تآمروا على قتله ، فاغتيل في سامراء . وبذلك أتيحت لهم السيطرة على مصير الخلافة قرابة قرن . وكان لتدخل الحاشية والنساء في شؤون الدولة ، وتنازع قواد الأتراك على السلطة ، وثورات العلويين ، وثورة الزنج ، وثورات القرامطة ، أثر كبير في تدهور الأوضاع السياسية ، فتزعزعت هيبة الخلافة ، وشلّت قواها ، حتى اقتصر سلطانها على العاصمة (بغداد) وما جاورها .

هذه الحالة التي كانت عليها الخلافة ، شجعت بعض القادة والولاة والحكام على الاستقلال عن الدولة ، ففي مصر قامت الدولة الطولونية برئاسة أحمد بن طولون ، وتلتها الدولة الاخشيدية برئاسة محمد بن طغج ، الملقب بالاخشيد ، وفي أفريقية الشمالية قامت الدولة العبيدية (الفاطمية) برئاسة عبيدالله المهدي ، ثم آل أمر مصر الى الفاطميين برئاسة المعزّ ، وفي خراسان قامت الدولة (الطاهرية) برئاسة عبدالله بن

طـــاهر ، فأسقطها يعقوب بـن الليث الصفـــار وأسس الدولـــة الصفارية بفـارس وأفغانستان ، وقـامت الدولة الزيـدية العـــلوية بطبرستان ، وقـد سقطت هـاتان الدولتان في قبضـة السامانيين الذين أسسوا دولتهم واتخذوا بخارى عاصمة لهـم ، وسيطروا علـــى شرق الامبراطورية الى أن قضى عليهم الغزنويون وخانات تركستان • وفـي الموصل وحلب قامت الدولة الحمدانية •

وهكذا ــ بعد حوالي قرن من الفوضى والاضطراب ــ عجز الخليفة العباسي عن تصريف شؤون الدولة ، وازدادت الحال في بغـداد سوءا ، فدعا الخليفة المستكفي ، أحمد بن بويه (سنة ٣٣٤ هـ) ولقبه معز الدولة وعهد اليه بمنصب أمير الأمراء ، فدام ملكه في العراق ٢٢ سنة الا شهرا ، وبذلك بدأت سيطرة آل بويه على بغداد ، واستمرت ما يزيد على قرن ، وهي المدة التي سبقت ولادة الغزالي •

في هذه الحقبة من تاريخ الدولة العباسية كان الحكم في بغـداد وفارس في أيدي البويهيين ، ولم يكن للخليفة أبان حكمهم كلمة نافذة ، وغدا ألعوبة في أيديهم • وقد شمل حكمهم خلافة خمسة هم :

(١) المستكفي بالله (٣٣٣ ــ ٣٣٤ هـ) وقد دخل البويهيون بغداد في أيامه•

(٢) المطيع لله (٣٣٤ ــ ٣٦٣ هـ) وكانت أيامه أيام ضعف وفتور ، ولم يكن له من الملك الا الخطبة ، وأصبح الحل والابرام في عهده للوزير معز الدولة بن بويه ، واستأثر هذا بكل ما للخليفة من عمل •

(٣) الطائع لله (٣٦٣ ــ ٣٨١ هـ) وفي أيامه كانت فتن بـين عضد الدولـة البويهي والوزير بختيار • ومات عضد الدولة سنة ٣٧٢ هـ فخلفه ابنه

بهاء الدولة ، فقام بشؤون الملك ، وقبض على الطائع وخلعه في ١٩ رجب سنة ٣٨١ هـ •

(٤) القادر بالله (٣٨١ ــ ٤٢٢ هـ) وكان حازما مطاعا ، هابه مـن كانت لهم السيطرة على الدولة من الترك والديلم ، فصفا لـه الملك ، وجـدد ناموس الخلافة كما يقول ابن الأثير •

(٥) القائم بأمر الله (٤٢٢ ــ ٤٦٤ هـ) وفي أيامه كانت فتنة البساسيري •

في هذه الأثناء ، أي في عهد القائم ، كان الاتراك السلاجقة ، قـد وصلوا في توسعهم غربا الى حلوان شرقي بغداد ، وكانوا قـــد اعتنقوا الاسلام على المذهب السني • وكان ملك بني العباس قد اضمحل وزالت دعوتهم من العراق ، وخطب للفاطميين أصحاب مصر لما استولى البساسيري على بغداد • فاستنجد الخليفة القائم بأمر الله بزعيم السلاجقة محمـد بن ميكائيل بن سلجوق ، الملقب ركن الدين طغرل بك للتخلص مـن سيطرة البويهيين ، فدخل طغرل بك بغداد سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) وقبض علـى الملك الرحيم وسجنه ، وبذلك زال ملك بني بويه مـن العراق وغيره • وأعاد طغرل بك الخليفة القائم الى بغداد ، وأرجع الخطبة باسمه •

مع بداية العهد السلجوقي ولد الامام الغزالي • ومات طغرل بك سنة ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م) وولي ابنه ألب أرسلان، فتمكن السلاجقة في عهده من فتح بلاد الكرج وأرمينيا وجزء صغير من آسيا الصغرى ، واكتسحوا الشام ، وهزموا البيزنطيين في معركة ملاذكرد سنة ١٠٧١ م• ومات ألب أرسلان ، فخلفه ولده ملك شاه ، وكان صغيرا ، فقام بالوصاية عليه وزير أبيه نظام الملك الحسن بن علي (٤٠٨ ــ ٤٨٥ هـ) فصار الأمر كله لنظام الملك ، وليس للسلطان الا التخت والصيد • ونعمت دولة السلاجقة في

عهد ملك شاه بنهضة ثقافية في العلوم الفقهية والرياضية والطبيعية • وكان الامام الغزالي ممن أسهموا بقدر كبير في هذه النهضة •

ومات ملك شاه في ١٥ شوال سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) فخلفه ابنه محمود ، وكان صغيرا ، وتوفي في السابعة من عمره ، فخلفه أخوه بركيارق (٤٨٧ ــ ٤٩٨ هـ) ، وفي أيامه خرج الغزالي من بغداد الى الشام ومصر والحجاز ، وفي أواخر أيامه ، أو في أوائل أيام السلطان محمد بن ملك شاه (٤٩٨ ــ ٥١١ هـ) عاد الغزالي الى بلاده ، ومات •

٢ ــ حياته

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزّالي (١) ، أبو حامد ، حجة الاسلام ، الفيلسوف المتصوف ، أحد أعظم أعلام الفكر الاسلامي، ومن كبار أئمة أهل البحث والنظر في علوم الدنيا والدين •

ولد في الطابران (قصبة طوس ، بخراسان) سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) • وكان والده رجلا فقيرا صالحا ، يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس • ويحب مجالسة الفقهاء والمتصوفة • وكان حينما يجلس اليهم يتأثر بأقوالهم ويتضرع الى الله أن يرزقه ولدا صالحا مثلهم ، ويجعله فقيها واعظا • وقبل ان يتوفى الغزالي الوالد ، أوصى به وبأخيه أحمد الى صديق له متصوف، وزوده بما لديه من مال لينفقه عليهما ، قائلا :

١ ــ بتشديد الزاي ، نسبة الى الغزّال على عادة أهل خوارزم وجرجان، فانهم ينسبون الى القصّار قصاري والى العطار عطاري . أو بتخفيفها ، نسبة الى غزالة من قرى طوس . قال ابن الأثير في اللباب : والتخفيف خلاف المشهور .

« إن لي لتأسفا عظيما على عدم تعلم الخط ، واشتهي استدراك ما فاتني في ولديّ هذين » •

وأشرف عليهما الوصي المتصوف ، وعلمهما الخط ، وأدبهما الى أن نفذ المال ، وكان الوصي فقيرا أيضا ، فنصح الأخوين بأن يدخلا مدرسة يأكلان فيها ويأويان ، ثم يتعلمان في أثناء ذلك ، ففعلا • فكان هذا الصوفي الصالح السبب في سعادتهما وعلو درجتهما • وكثيرا ما كان أبو حامد يحكي هذا ويقول : « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون (العلم) إلا لله » •

ثابر أبو حامد على دراسة الفقه وهو ما يزال في ريعان الصبا ، فقد أخذ طرفا منه في طوس (سنة ٤٦٥ هـ ــ ١٠٧٣ م) على الامام أحمد بن محمد الراذكاني (نسبة الى راذكان من قرى طوس) ، ثم انتقل الى جرجان ، وهو دون العشرين ، ودرس على الامام أبي القاسم اسماعيل بن مسعدة الاسماعيلي • ثم عاد الى طوس ، فمكث بها ثلاث سنين ، ارتحل بعدها الى نيسابور (سنة ٤٧٣ هـ) ولازم إمام الحرمين ، عبد الملك الجويني ، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، ودرس عليه الفقه والأصول ، والجدل والمنطق ، والكلام والفلسفة ، حتى « أحكم كل ذلك، وفهم كلام أرباب هذه العلوم ، وتصدى للرد على مبطليهم وإبطال دعاويهم » (١) •

ويرى المؤرخون ان هذه الفترة من حياة الغزالي كانت أخصب فترات حياته ، ففيها ابتدأ بالتأليف والكتابة ، وفيها بدأت الشكوك تتطرق الى

١ ــ شرح أحياء علوم الدين للزبيدي .